من صميم الحياة :

انسانيـــــة

(ما أكثر مآسى هذه الحياة ، وما أكثر ضحاياها ، وهاهى إحدى تلك المآسى التى قصها على ضحيتها الأول منذ أكثر من سنتين ، وإخالة اليوم بين قراء هذه القصة ، وقد كانت الكويت مسرحاً لهذه الحادثة المؤلمة ، وهل فى هذه الحياة إلا الآلام ؟ ؟)

أنهى محمود عمله قبل أن تدلف الغزالة إلى خدرها ، وكر راجعاً إلى منزله - منهوك القوى ، خائر الأعصاب - وهو يفكر فى أمر زوجته المسكينة التى غدت رهينة الفراش منذ ثلاثة أيام ، فأضناها السقام ، وبرحت بها الآلام ، وليس لديه من يرعاها ويقوم بخدمتها ويواسيها فى مرضها سواه ، وإذا تخلى عن عمله لخدمتها فمن يأتى بالقوت لها ولأطفالها الصغار الذين لم يتجاوز كبيرهم الثامنة من العمر ؟ ؟ فكان وهو سائر لا يفكر إلا فى هذا الشأن ، ولا يحسب للغادين والرائحين أى حساب . وصل إلى منزله وإذا بأطفاله يتباكون عند سرير أمهم حتى ليكاد قلب الرائى أن ينفطر عند رؤيتهم فترقرقت الدموع فى مآقيه مدراراً .

دلف إلى المنزل وقبل أن يجلس بقرب فراش المريضة المحتضرة ، هبت الأطفال للقائه ، وأخذوا يسألونه عن أمهم وعن السبب الذى دعاها لملازمة الفـــراش ، فأخذ يسليهم بإعطائهم الحلوى التى اشتراها لهم ثم قدم لهم الطعام فتساقطوا عليه من شدة الجوع حتى أكلوا كفايتهم ، وأكل ما كان أمامهم ، وبعد ذلك بثلاث ساعات أخذ الكرى يداعب جفونهم فاستلقى كل منهم على فراشه ، واستسلموا لنوم عميق ، إلا تلك البائسة فان أنينها أخذ بالازدياد حتى أن محموداً لم يطق صبرا على سماع آهاتها وأناتها ، فخرج لإحضار الطبيب بأى وسيلة كانت .

خرج من المنزل بعـــد غروب الشمس بأربع ساعات فاذا سكك المدينة ودروبها خالية إلا من بعض المارة وبعض الحرس الذين يجوبون المدينة للمحافظة على الأمن .

اتجه نحو منزل الطبيب وهو يعلم جيداً أن الطبيب لن يتنازل بالمجىء معه لفقره وفاقته ، لكنه واصل سيره بخطى متعثرة واجفة وقلب مضطرب ، ودموعه تتناثر على خديه فيمسحها بمنديله ، وصل بيت الطبيب وهم بطرق الباب غير أنه أحجم ، وأخذ دقات قلبه تزداد حتى صار يسمعها بكل وضوح ولكنه تشجع وطرق الباب فلم يجد أحدا فطرقه ثانية وثالثة فأطل الطبيب من إحدى النوافذ وقال :

— من الطارق فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

— ياسيدى الطبيب إن زوجتى على فراش الموت فارحمها وارحم أطفالها الصغار الذين لم يقترفوا ذنباً ولم يرتكبوا جرماً ، بل إنهم لم يعرفوا معنى الحياة بعد .

— اذهب من هنا أيها الرجل فقد أزعجتنى فأنا لا أستطيع أن ألبى طلبك الآن .

— بربك ياسيدى انقذ روحاً بشرية بريئة موشكة على الموت ، وانقذ أولئك الصغار وسيكافئك العزيز المتعال ، الذى لا ينسى عبده فى مواطن الشدة والضيق .

— أقول لك اذهب ولا تفه بكلمة واحدة ودعنى أواصل نومى فانى بحاجة إلى النوم ! ! .

— أنت بحاجة إلى النوم وزوجتى على فراش الموت ، ولا ناصر لها ولا معين ، فأين الحمية وأين الشهامة ؟ ألست إنساناً تحس وتعقل ؟ أما خلق الله فى قلبك الرحمة والشفقة ؟ ألم تؤثر فيك كلماتى هذه التى تؤثر فى الصخر الأصم فضلا عن الإنسان ؟ أسألك بالله أن تلبى طلبى وتسمع ندائى .

ذكرى العدد

ـ ما هذا الهذر أيها الرجل ؟ ؟ انصرف من هنا فلست بقادر على مغادرة منزلى فى هذه الساعة المتأخرة .

ـ ما هذه القساوة أيها الطبيب؟ أين المساواة ؟ وأين العـــدالة ؟ إنكم تستنزفون دماء الشعب ، وتأكلون أموال الناس بالباطل ولا تؤدون واجبكم على الوجه الأكمل . إن الواجب يحتم عليك أن تغادر منزلك عند حدوث أى طارىء ولو كان قبيل الفجر .

ـ قلت لك إننى لن أبرح مكانى هذا لاسيما وإننى أشعر بانحراف فى صحتى . وصحتى أولى من كل شيء .

ـ صحيح ما تقوله ـ أيها الطبيب ـ إن صحتك أولى ولكننى أسألك باسم الإنسانية ـ إن كنت إنساناً ـ أن تتفضل معى لتنقذ تلك البائسة من هوة الموت السحيقة ، وأولئك الصغار الملتفين حول فراشها ، يبكون ويولولون أوما تتصور ذلك المنظر المؤلم؟ ذلك المنظر الذى لو شاهده أقسى رجل على وجه البسيطة لخر صعقا ، وتغلغلت الرحمة فى طيات قلبه .

ـ إن لم تنصرف أيها الرجل من هنا، نزلت إليك وأجبرتك على . . . الانصراف .وما أنهى الطبيب عبارته حتى أغلق النافذة وعاد إلى فراشه . ولست أدرى هل وجد الكرى سبيلا إلى أجفانه أم لم يجد ؟ وكيف ينام من يوخزه ضميره ريؤنبه سوء عمله ؟ اللهم إلا إذا كان معدوم الضمير ، والوجدان ، والانسانية ! .

أما محمود فبقى باهتاً لا يعلم ما ذا يفعل أيرجع إلى بيته ليشاهد ذلك المنظر المؤلم ؟ أم يهجم على وجهه فى البرارى والقفار تخلصا من سماع أنين زوجته وصراخ أطفاله وفراراً من حياة البؤس والشقاء ؟؟ فصمم على الرأى الثانى إلا أنه فكر فى أمر أولئك الأطفال الصغار الأبرياء .

من ذا الذى يرعاهم ويخدمهم بعد فقد الام والأب؟ فرجع إلى المنزل منكسر القلب، فاقد الشعور، ودموعه تنهمر ، وقلبه يكاد أن يذوب لعظم المصاب . كيف يذهب لإحضار الطبيب ويتوسل إليه ذلك التوسل فلا يلبى طلبه ولا يسمع شكواه ؟ وأخيراً يعود بخفى حنين ، وهنا رفع بصره إلى السماء وقال :

« اللهم لقد زالت الرحمة عن قلوب الناس، وأنت أدرى بالذى أصابنى وحل بى، وتعلم مادار بينى وبين هذا المجرم فاحكم بينى وبينه، إنك مجيب الدعاء » .

وصل محمود إلى المنزل وإذا بزوجته جثة هامدة لاحراك فيها ، لقد فارقت هذا العالم الملىء بالمصائب والارزاء ، والزاخر بالمآسى والشقاء ، ووجد أطفاله غارقين فى أحلامهم لا يعلمون شيئاً مما جرى ؟

خالد خلف

مطبعة الكويت

بالقرب من دائرة التلغراف

استعداد كبير لتجهيز جميع الطلبات من المطبوعات التجارية ومطبوعات الشركات ، وعمل الدفاتر التجارية وتسطير الورق وإعداد الدفاتر المدرسية ونشر الكتب والمطبوعات الأخرى كما أن لدى المطبعة جميع أنواع الورق للمطبوعات التجارية .

••••••••

سرعة فائقة فى الانجاز ، ودقة فى الطبع

ومهاودة فى الأسعار

يمكنكم فى كل ما يختص بالعمل فى المطبعة مراجعة

مكتبة التلميذ

لصاحبها : **حمود عبد العزيز المقهوى**